مفتاح العمّاري

تَحْطِيب

سُكّان الريح

شعر

إهداء

إلى روح شـقيقي:

إدريس أحمد العمّاري

استهلال

أيّها الألف

شكرًا يا معلمي،

يا معلّم طفلي؛ كيف تُشْطر الباءُ بسيفٍ لا يُرَى

ليظفِر بدهشةِ الباب.

♦

(1) تحطيب

1

الأشجار التي تحجّر عطرها،

كيف نسميها حديقة ؟

كان عليّ جمع الحطب

لا انتظار الريح.

2

من فرط الانتظار،

شجرةُ البرتقال الوحيدة في فناء البيت،

تتخيل مطرًا

وتطرحُ فاكهة مضللة.

3

منذ أن دفنا أبي، وتركنا أخطاءه

تلعب حرّة خارج القبر،

منذ أن تدبرت أمنا زوجًا آخر،

ولم نعد نراها إلا في المآتم،

منذ أن تخلّت عنّي الأبواب،

وتحوّلَ اسمي إلى خمسة أرقام هزيلة

وأمست الثكنات ملاذي غير الآمن،

منذ أن عثرت على جبران متروكًا بإهمال

على طاولة عامل بدالة في معسكر الكتيبة 23 مشاة

كان النبي مهانًا،

شوّهت ملامحه أرقامٌ وخربشات عابثة،

وبقعُ الشاي،

منذ ذلك الحين:

وأنا أكتبُ الشعر لجمهور مغرور،

يتجاهل الموسيقى،

ويفسحُ الطريقَ للجنرالات.

4

ذلك الذي كان يُعنّفني

لكي أكون ابنًا بارًا،

وكنتُ أريده أن يكون أبًا حنونًا،

غادر البيت.

5

الغابة مكتظة بما لا يُحدّ .

ظلالٌ تتكسّر،

ولا أثر لفأس.

6

أنا الآن وحدي.
لكن تلك السماء
يصعب نسيانها.

7

حيث لا شيء يصمد طويلا

في الحرب

تشبّثْ بالموسيقى

تلك الرفيعة، شبيهة السر؛

فمهما كانت عظمة النار؛

وحدها الموسيقى

لا تحترق.

8

حتى وهو يلوذ بصمته

لمْ يعد الكلامُ آمنًا.

9

في عطلةِ الأسبوع؛

ذهب الجنودُ إلى عائلاتهم

وتركوا الثكنةَ لي وحدي.

10

إكراما للظلّ أقترفُ المزيد من الصمت

لكي أرى عن كثب

الأحلام الصبورة التي طبخها المعرّي

على مواقد العزلة

ثم تركها تتبخر بهدوء؛ لتسافر بعيدًا

في خيال اللغات.

11

أغبطُ سكان الريح

الذين لا يملكون أقفالا

أو بضعة دراهم تكفي ليوم آخر

بلا عناوين حتى،

أينما تعبوا، ناموا.

لا أبواب لهم

لا كتب ثرثارة

ولا ورثة يتشاجرون.

لا شيء.

12

لم نتعارف كما ينبغي

لم نعش كأصدقاء

ولم نصغ لزوربا.

شيء كهذا؛

يحدث في طرابلس.

13

طفل يركل كرة صفراء
الشمس تغرب خلف ظهره.
قميصه المشجر،
حديقة تركض في مرح.

14

ما ذنبي إذا أهملتني الصدف

ولم أعرف سجن "بورتا بينيتو"

إلاّ كحديقة يتوسطها مقهى.

ما ذنبي إذا طلبت ارقيلا

وكتبت قصيدة.

فقط أتساءل .

15

ثياب الجندي،

التي لبستها طيلة عشرين عامًا،

عجزت عن إخفاء ظل الشاعر .

16

أحيانًا أغبط أولئك الكسالى

وهم يسترخون في المقاهي،

ويثرثرون بأصوات حرّة. ولأسباب لا أفهمها أغبط النار،

الشوارع لحظة أن تستيقظ في الشتاء.

كما أغبطُ الروادَ الأوائل،

حملةَ البكتيريا الذين اكتشفوا الخيال،

وتركوه يغلي على مواقد رحيمة.

أغبطُ الألم الذي يصنع سلّما للضحك.

الألم الصبور، لا الماكر وهو يفكّر متربّصا بكهولتي

الألم أبن الخمسين اسما في معجم الجرّاحين،

الراكضَ والناعمَ والمتسوّلَ والمنبوذ.

أغبطُ طرابلس بخصوبة ترهاتها وهي تحتفل بالنفايات،

لأن الربيع حين فقد بصره أخيرًا،

انتخب الشاعر لقيادة العزلة.

لهذا، أرمّم مشتقات المنفى بمزيد من الكلمات

أبتسم في وجه العالم، وأقول لنفسي:

كأن الحياة لعبة

هكذا خمنتُ فيما كنتُ أسألُ جندياً،

عن اقرب دورة مياه أو جامع .

قال: تبولْ حيث شئت.

هكذا أتربّص،

حيث الأسماء خلاصةُ سفر .

فيما الألمُ لا الكلمات،

مَنْ كان يُفكر.

17

فيما كنت اغنّي خلف شياهي؛

صنع الفينيقيون سفنًا.

كم تمنيت لو أن أبي كان نجارًا

عوضًا عن قاطع طريق،

يكمن للقوافل ويتحرش بنساء العشيرة.

18

لو كان أبي صيادًا، يجوب البحر على الأقل

لبدت أمّي أسعد حظًا

وهي تجيد تلاوة الشعر وتربية الزهور .

وتشوي سمك المرجان على أنغام زوربا.

19

أسماء كثيرة كانت لي؛

صارت ريحًا.

حماماتُ جارتنا

تترك ريشَها أعْمَى.

20

لا دخان،

لا ضحك،

لا شيء.

ومع ذلك؛

جارتنا تَطبُخ .

21

طالما لست مضطرًا

لمغادرة البيت،

سأظل سعيدًا.

كعادتي دائمًا؛

أهملُ الأبواب

وأفتح الكتب .

22

صديقتي نامتْ وهي تقرأ

غلافي الجميل

يحلم على صدرها الآمن

أنا كتاب.

23

لأن " ثمة أشياء لا نستطيع رؤيتها إلاّ في الظلام "*

استأنست كثيرا بمقبرة الكتب، رفقة الفتى دانيال

نقتفي "ظل الريح".

24

في هذه الليلة

سهرت مع المجرية أغوتا كريستوف،

كل شيء كان يحترق:

الكتب،والأحلام، وأفراد العائلة.

---

*الاقتباس من رواية "ظل الريح" لكارلوس زافون.

25

بمجرد أن عضتني قصيدتها

أحببتُ الفونسينا ستورني

تلك التي انتحرت غرقا، وذهبت إلى القاع

لتفتّش عن فجر يلمع في جوف صدفة

لكي " تحمل لي باقة حمراء

من زهور المرجان ".

26

أنا أيضًا وقعتُ في غرام سيلفيا بلاث

قبل أن تنتحر تركت لي مجموعة من القصائد الأثيرة

ورواية لا تريد أن تنتهي.

27

كأننا التقينا قبل اليوم

في مكان آخر يشبه "ظل الريح"

أنا والجميلة " كارلا "*

كارلا العمياء، وهي تتحسّس وجهي بأناملها الحاذقة

التي تعرف كيف تثير الشهوة بحرفية بريئة في تعرية الخيال.

حدث ذلك في ليل مكتظ بأنفاس بيانو

في رواق مكتبة عتيقة.

———

*من شخصيات رواية" ظل الريح " لكارلوس زافون.

28

وحدها تزهر في الغرفة.

كتبي التي تخليت عنها،

تضيءُ الليل.

29

اعتمروا الخُوذَ

وتنكبوا البنادق.

خمسُ سنوات

لا أُمِّي ابتسمتْ،

ولا أخوتي عادوا .

30

يا للغباء

تجمعنا الحربُ؛

لكي نفترق .

31

لا شيء

غير دخان يصعد

وأرواح تطير .

صباح مكفهرّ .

32

لأن أمّه غابةٌ بثلاث جهات تتعارك

ظل بابُ الحوش

مثل طفل يلعب بقذيفة؛ ريحًا لا تهدأ .

لهذا كان البابُ

تاريخًا حافلاً بالحكايات.

هضم نصفَ شاحنةٍ من رفات الأشجار

ليكونَ بارًا بمتاهته.

أعمق من موسيقى تحترق في عبارة تائهة

وأكثر غدرًا من يوسف باشا

وأمكر من معاوية .

33

لأسبابٍ غامضة

تحوّل المغنّي إلى جزّار

والطبيبُ صار قائد مليشيا

وتاجرُ المخدّرات شيخًا بلحيةٍ أممية .

هكذا:

لم يعد لدينا ما نخاف لأجله

فقدنا أصواتنا في الحرب

وخبزنا في المآتم

ورقابنا في الفوضى

نموت طيعين

مثلما علّمتنا البنادق .

34

البنادقُ نفسها

التي التقطنا معها صورًا في الربيع

تصوّبُ سبطاناتها

نحو صدورنا.

35

كم هم أذكياء رجال الهلال الأحمر

ارتدوا الكمامات والقفازات،

وجمعوا الجثث من الشوارع.

ولكي يعودوا مرة أخرى

تركوا الأطفال

يلعبون ببنادق الموتى .

36

عدت وحيدًا

ورفاقي ضاعوا.

حتى في البيت؛

صارت الحرب؛ كل ما أملك.

37

لكم تمنيت

أن أملك قاربًا صغيرًا،

ونصف لغة شقراء،

عوض الإصغاء

لأمّ تدفنُ أبناءها .

38

فيما أكثر من خيال

يبحث عني

لاحظتُ الفرق

بين جثة

وقصيدة.

39

تمامًا مثل قريةٍ مهجورة
هذه القصيدة؛
لا أحد يوقد نارًا .

40

روايتي التي أواصل كتابتها

منذ خمس سنوات،

تخضع لانقطاع الكهرباء،

وقصف المليشيات.

لهذا تعذّر عليّ

إحصاء القتلى

وكنس النفايات.

41

لكتابة وجهك كما أراه
تلزمني غابة
من الأسماء الحارة.

42

في انتظار أن أموت بالسرطان

سأعيش تسعين عامًا أو أكثر.

لماذا تسعين عامًا أو أكثر ؟

لأنّ كل قبلة

ليست هي نفسها

التي تنتظر.

43

على الرغم من هذه الفوضى التي أحدثها السرطان؛
لا زلتُ أجلبُ الخبزَ والزيت والحكايات،
وأحمل أكثر من شجرة على كتفي.

44

أقمتُ ردحا من مرضي،
لا أبصر إلاّ ما تتيحه نوافذ كُتبي،
لا بيتي المهجور.

45

أن تصغي للألم

لعظامك وهي تتكسر

وقد عجزت تمامًا

عن تدبير ممرٍ آمن للنوم .

هذا وطنٌ لا يُطاق.

46

حين أستسلم للنوم وحدي

وأصمت منزويًا في ركن معتم

لا أدّعي الأسى.

حين ألمّح إلى الصداع وغثيان الكيماوي

لا أعني المرض.

وحين أعيدُ قراءةَ رسائل قديمة

لا أعني الحنين في شيء.

وحين أبكي الذين رحلوا؛

لا أقصد الموتى.

47

أينما ألتفت لا أجد سؤالا؛
لغتي تاهت.

48

ربما ..

ربما بفضل الحماقة؛ لا الصبر

تصالحتُ مع الألم .

49

في تاجوراء مسجدٌ عتيق تربّع ببهاء

على عرش قلعة حزينة

هناك مصلون عوضًا عن مقاتلين.

يقول العارفُ: ليس من الحكمة

إضافة ريح لغابة تحترق.

50

صحيح أن بيتي بلا شرفات

بلا حديقة

بلا ماء

بلا خبز

بلا غاز

بلا كهرباء

بلا ساعات حتى.

لكنه يزهو بقليل من الموسيقى

وامرأة تمشط حلمها

و هذه القهوة.

صباح الخير.

51

لأنني أمسيت عجوزًا

وذاكرتي لم تعد تسعفني.

لا أستطيع أن أكون في مكان آخر.

أنا في البيت.

52

في الستين؛

تلك كانت أكبر حماقاتي:

كتابة الشعر،

الرفق بالعزلة،

وتخزين الأحلام .

53

في الستين

كلماتي تغطيها التجاعيد

وحذائي تحت السرير يذوي وحيدًا .

54

لدي أسباب كثيرة للحزن

لكن بمجرد أن أفتح الباب لأحفادي،

سأغدو بشوشًا

مثل كلبٍ في نزهة.

55

في طريق السور

أمشي وحدي

مزهوًا بسماء مبلولة

في صباحٍ مبكّر

أحملُ خبزًا

وأغنّي.

56

في الستين

أنا شاعر عجوز

جسدي التائه

لا يقوى على حمل قصيدة.

57

خفيفة بأسى

ليلتي البارحة

سرعان ما اختفت.

شيخوختي المبكّرة

تقول كلمتها.

58

لأنني جرّبتُ الحربَ والمعتقلات،

وعرفتُ الصحراءَ على حقيقتها،

أفضّل أن تُطبَخ الحياةُ على نارٍ هادئة

الحبّ خصوصًا..

ينبغي أن يكون ناضجًا.

59

كبستاني حالم

أستيقظ مبكرًا

فقط؛

لأنّ أكثر من شجرة

في انتظاري.

60

كلما هرمت؛ ازدادت المرايا شحوبًا،

ونفرتني كلابُ العائلة؛

كذلك لم أعد قادرًا على هضم الذكريات؛

تلك الحزينة،

التي لا تترك أثرًا، كما لو أنها غيمة خائفة .

61

قبل قليل كانوا أطفالا

أخوتي الذين أطعمتهم عسل الجبل

واشتريت لهم الأحذية الجديدة.

ما إن كبروا

حتى اختفوا خلف زوجاتهم.

62

وهبتْ حواسها للريح،

قصيدتي المهدورة،

يجرها حصانٌ طائش.

ولا أحد.

63

أشرقت الشمس علينا جميعًا

استيقظنا جميعًا

وحيَّ بعضنا بعضًا.

فقط ....

أحدنا ظلّ عالقًا في حلمه.

64

في هذا الصباح

أشعر بامتنان للتويتر

أن أقول الكثير بكلمات قليلة.

وأيضًا لجارتي؛ تنشر غسيلاً وتغني.

65

أحيانًا

لا أفكّر في شيء

ولا أنتظر أحدًا

و لست قلقًا كما يُظن

أو خائفًا من الموت أو نحوه

لكنني؛ لأسباب لا أفهمها؛

أشعل سيجارة نكاية في السرطان

وأكتب قصيدة.

**

أحيانًا

فيما جرس الباب يخضع لوطأة الغزاة

سأفترض أن محصل الكهرباء بعد أن ييأس

قد يرشق قسيمة الاستهلاك تحت وسادة العتبة

أو يودعها لدى الجيران ثم ينصرف

أحيانًا أنا كسول جدًا .

**

أحيانًا والعالم يمضي إلى النهار

أنا خميرة نوم

لا تعنيني النقود والمحطّات وأسماء الشوارع

والأسواق وشركات الطيران.

**

أحيانًا أنا صياد فراغ

رقصتي تمحوها موجة.

لا شيء يبقى

**

66

حين شاطرت الكلمات نومي

توزعت قصائدي

في أحلام عديدة.

67

صحيح قد بلغت الستين

لكنني حين أكتب،

أصغي لما يُمليه عليَّ طفل.

طفل مخطوف،

لا يتوقّف عن صفعي.

68

حيث لا أحدا في البيت.

أسكب قليلا من القهوة

على النار ..

رائحتها المحروقة

تجعل الجدران أقل وحشة.

69

عوضًا عن رواية واحدة،

رواية عصية؛ كَتبتُ صفحاتها السبعين، منذ ثلاثين سنة

فيما كنتُ الهث استجابة لامرأة خلقت نفسها.

رواية، لطالما أيقظني ذئب متربّص

لطالما حزنت؛ لأنني ركنتُ شعبَها جانبًا

قبل أربع سنوات نكشتُ رفاتها

كسرتُ أبوابًا وأشعلتُ نارًا هنا،

وهناك أعلنت نفيرًا.

وعوضًا عن رواية واحدة

تورطتُ في كتابة خمس روايات

جميعها بلا خواتم :

في "فايا لارجو" تركتُ جنديًا أسيرًا يُعَذّب،

في طرابلس، نشرتُ المزيد من الأرق،

في الصحراء الكبرى أشعلت حربًا؛

خالطًا بين أسماء القتلى والمفقودين،

في حي سيدي عبد الجليل عقدتُ قرانًا على فتاة ضائعة ثم هجرتها بعد يومين.

أنا ساردٌ سيء بطبعه.

لا أعرف حتى الآن ماذا أصنع بجرائمي التي اقترفتها

صار لدي خمس روايات دفعة واحدة،

خمس كوارث مفتوحة بلا عناوين أو نهايات.

———

27 ابريل 2015

70

حين تخليت عن ساعة يدي؛

مرت الشمسُ نفسها،

وعبرت السحب والظلال،

من دون أن يتغيّر شيء .

71

من يهديك زجاجة عطر

ليسلبك حديقة،

من يهبك كلمة طيبة

ليشلّ لسانك،

من يعطيك شيئًا واحدًا ليأخذ كل شيء.

اتركه قبل ألا تقوى على تركه.

72

إذا كانت الحتميةُ علمًا

أين سنضع حربَ البسوس

التي صنعتها صدفٌ غبيّة.

73

عشر سنوات مضت،

لا شيء غير المرض

كأنني مجرد عابر داخل بيتي؛

لا احتمل مضغ الخبز.

تقّوس ظهري،

وجدراني ترتعش.

74

في الحرب

جيراني الذين نزحوا بعيدًا

تركوا غرفهم مظلمة

ووسائدهم تجف وحيدة.

75

شكرًا للذين تهدّمت بيوتهم

شكرً للذين فقدوا أطرافهم

وقالوا: شكرًا

لأننا ما زلنا أحياء.

76

في عمان:

من جبل الحسين، إلى أبراج الحجاز

سائق التاكسي لا يكفّ عن الدوران.

ربطتُ حزام المقعد،

وفتحتُ "نساء أويا "* للمتوكّل طه،

لا شيء يُذكر .

77

وحدها لغة ثرثارة؛

تهبُ الكلبَ سبعينَ اسمًا.

---

*رواية للشاعر الفلسطيني المتوكّل طه.

78

عندما تمسي الكلمات؛

مجرد قشّ تذروه الريح؛ بلا معنى

عليك أن تتوقف.

الخيال لا يتّسع لحمار مغرور .

79

يبيدون أكثر من شجرة كرز

وضفدع في بركة ماء،

ليظفروا أخيرًا

بقصيدة ميتة.

قردةُ الهايكو العربي.

80

عندما تمطر

لا ألوي على شيء،

قصيدتي معطف.

**

أحيانًا أحبُّ المطرَ مشردًا.

**

أسحبُ كرسيًا

وأجلسُ في شرفة البيت.

أتذكّر الأمطار التي هجرتني.

تلك التي تتلعثم كطفل

**

عندما تهطل الألوان

من مزاريب وأشجار نائمة.

ومن الكرسي الوحيد في الشرفة..

ومن شيء باردٍ له نبض مرح.

لا أشعر بحذائي المبتلّ.

**

مرات كان يخطر لي

التخلّص من القبعة والثياب الثقيلة؛

لأرقص في الشرفة عاريًا.

لكني صرت هرمًا يُحاذر نزلة البرد

وهذا يحزنني.

81

في الربيع؛

اجتاحتني رياحُ القبلي

فضاع صوتي.

في الصيف؛

أنا الجندي الصغير

اختبئ خلف ساتر رملي

ارتدي خوذة مموهة بشبكة غشّ

وحذاءً يكبرني.

في الخريف؛ أنا الحقل الذي يحترق.

وفي الشتاء؛

أنا الرماد الشهيد

في مواقد العائلة.

82

أتغيّر من ساعة إلى أخرى

حيوان طائش

في غابات خوان ميرو .

83

لا أحد من المارة،

يرفع القبعة؛

قصيدة وحيدة

في الشارع.

84

كلاجئ غير شرعي

أعبرُ الشارع حذرًا

أرمي القمامة،

وأعود سريعًا صوب البيت.

لا أحد يحييني.

85

لا أحد هنا يتبع الموسيقى

لهذا أفكر جادًا

كيف أنزع ضلعًا

لأجدك بجواري.

86

لو كانت عائلتي متعلّمة وثرية

لتفرغتُ لسبر ألوان ليوناردو دافنشي

عوضًا عن تعلّم الكلاشينكوف

والتورط في نفايات موسليني.

87

كلما تجاهلنا الأقفال؛

فقدت المفاتيح جدواها.

88

عندما طردني أفلاطون خارج السور،

تحررت من ترهات اليوتوبيا،

تلك التي تلطخ التاريخ بالأكاذيب

وترهنُ سرّتها لعبث الفلاسفة

لهذا أنا سعيد

أركض إلى أقصى حدّ

ولا أملك متاعًا

سوى ما علق بذاكرتي

من كتب وغيوم.

شكرًا تلميذ سقراط .

89

بعد معركة وادي الدوم

خسرنا الحرب

وكسبنا أخطاءنا

وصرنا شتاتا

تجمعنا ثكنات الوحشة.

90

أجدادنا الأوائل،

الذين شبعوا موتًا، وغنموا الجنة،

أخذوا المستقبل معهم

وتركوا سيوفهم الصدئة؛

تقطع رقابنا.!

91

دونما دخان يشير

تركتْ رمادًا خلفها.

ذهبتْ الحربُ

بلا أبطال.

92

في شتاء بعيد ؛مات أبي

جلستُ على عتبة البيت أبكي

مرّ رجلٌ عجوز يحمل سلة خضار

قلت له: أبي مات

أعطاني رأس جزرة

وتركني أنظر لمشية السحب.

93

كبرتُ بعيدًا عن أبي

حمار صبور

يحمل أوزار العائلة.

—

طرابلس يونيو 2016

94

في الشتاء:

رحيمة كأمّ

تطرح ثمارًا دافئة

شجرةُ الزيتون.

95

تمامًا مثل الموسيقى الناعمة،
تلك التي تجعل الليلَ نظيفًا
والطعامَ يزهو؛
أجمعُ الكلمات
وأشعلُ نارًا.

(2) سكّانُ الريح

نزلة برد

أنا سعيد طالما الموت لن يكون غيابًا،

أو محض (حكاية سوداء)؛

وأنّكِ في وقتٍ ما ستبحثين عنّي؛ ستبحثينَ

في الكلمات نفسها، التي تركتها في الأرفف والأدراج،

في التراب، وفي العربة التي ستقلّني إلى التراب،

في ما سيخفيه الآخرون عنك،

وفي ما يعجزون عن ردمه،

في ما يرثه النوم، ليبقى مجرد شبهة نوم،

في الكتب وقد تخفّفت من غبارها، وأوزار عزلتها،

في ما يبقى عالقًا بالوسائد والثياب من روائح وموسيقى وصور،

في الصور التي جمعتنا كحبيبين،

وفي الصور التي فرقتنا، فيما تنزوين بغرفة النوم

منكبّة (كما يبدو) على معالجة خيالك،

فيما أتظاهر بالقراءة وأجلس وحيدًا (كما يبدو) على

الكنبة غاضبًا كلغم متربّص،

في ما أكتمه من وجع باتَ مزمنًا،

وفي ما تخفينه من رغبات بريئة،

في الأصابع التي تشبه أصابعي،

عندما أدخّن أو أستغرق منتشيًا بالكلام،

في مخلفات الحرب، التي تبعثرت بين خرائب الحرب،

في الضحك، وهو يحرسني من الخوف

وتطفل الغزوات البليدة،

في مساء الخميس، (كحكاية تائهة)

عندما أغادر الثكنة مزهوًا بمشية الشاعر، لا الجندي،

في صحراء تشاد، (كحكاية محزنة)

وأنا أترك الرمل خلفي لكي أستنشق البحر،

في أنفاس البحر، (كحكاية مبهجة)

لحظة أن يكون شاطئ الشعّاب مطلا كأب حنون،

في انتعاشة السفر، (كحكاية شغوفة)

حين أجلس في صالة الركاب متأهبًا للطيران،

في مخطوطات رواياتي(كتدوير للحكايات نفسها)،

رواياتي التي لم تكتمل،

في ما تنفضينه من ذاكرتك، لأبدو بعد قليل نظيفا من الشبهات،

في ما لا تستطيعين تذكّره، وتتكفل الصدف بإيقاظه،

في كل شيء قريب تلمسينه،

سأتخلل رعشة أناملك الحارة،

وفي كل شيء بعيد، (تديرين له ظهرك)،

سأنتظرك مرة أخرى،

حتى في النسيان (كحكاية كريهة)

تستعير مجاز الموت؛

سأبدو سعيدًا طالما (في وقت ما)؛

كنّا كأجمل حبيبين في جنة البيت،

وكزوج من الصنف النادر، في مطبخ متهالك،

غير عابئين بفرقعات القذائف، وأزمة الخبز والنقود والمحروقات:

أنت تصنعين الفطائر، وأنا أعدّ القهوة،

فقط (كما نظن)

لكي نتفوق على المرض والفقر

والفوضى والظلام،و(حياة الغائط)

بالشعر،

وبالمزيد من الشعر؛

أنا سعيد طالما سأبحث عنك،وتبحثين عني

في الكلمات نفسها التي لا تكتفي بوصفها

نزلة برد حادة،

أو أنها مجرد حكاية،

حكاية وكفى.

———

طرابلس 10 مارس 2018

_____ لإيقاظ شجرة

الأمنياتُ وحدها لا تصنع كرسيًا أو قصيدة

الأحلام البريئة كذلك،

ليست حطبًا جيدا لإشعال ثورات عظيمة،

لانتشال حديقة من الغرق،

لاستعادة قبلة نازحة،

لاقتلاع غيمة من قعر جبّ،

لاصطياد ضحكة صافية من حفلة تأبين.

وللمشي أيضًا، أبعد مسافة ممكنة في السرد،

للإطاحة بأغوتا كريستوف، وحتى شكسبير .

ليست الأمنيات وحدها

من يصنع سلّمًا أو حديقة

عليك أن تتوقّف

كلّما كانت هناك امرأة تنتظر .

لإنقاذ نهد من حظِّه العاثر، لا تتأخر

والتحقْ بأصابعك

كجنديٍّ يهبط بمظلة،

تمرغْ كشاة تذبح.

وإذا شئت أن تكون ثائراً،

أو محارباً نبيلاً

لا يكفي أن ترتدي درعا،

أو تحمل سلاحًا لا يخمد،

هناك أكثر من طريقة

لإيقاظ شجرة أو مدينة في كهف .

من دون أن تترك خلفك رمادًا أو جنازة،

من دون إثارة أيما فاجعة أو فضيحة ،

يمكنك أن تهب القبلةَ عمرًا إضافيا .

فقط :

أطلق لسانك كما لو كنت تعتق عصفورًا .

دع فمك حرًا،

دونما تعاليم أو خرائط،

وأنت ترسم رجلاً سعيداً،

يتسكّع في البيت.

دع خيالك يمشي.

___

سكّان الثُكْنَات _____

هناك،

عندما كنتُ من سكان الثُكْنَات

: ماذا تفعل بكتاب أيُّها الأحمق،

يُعنّفكَ الضابط.

هناك أيضًا،

فيما الأحلامُ تحترق، ولا تترك رمادًا

فيما الظلالُ لا وجود لها، إلا إذا كُنتَ أعمى.

فيما الكلمات محض شتائم وعصيّ وبصاق

فيما الحربُ على الأبواب /

تكسّرت النوافذُ.

**

ما الذي جعلَ ضابطًا صغيرًا

يثيرُ نصف قرنٍ من الغائط.

فيما تتناسل غرفُ التعذيب

ويتكاثر الرعايا.

فيما تضاف المزيد من الزنازين

كفصول لتربية الظلام،

فيما الظلام يستعين بأسلافه الموتى،

فيما الموتى يعودون إلى الكتب والشوارع،

بأعلام وبنادق،

يهمسون مرة أخرى:

أين ذهب الضابط ؟

**

هل يقصدون نهرًا أو حديقة،

فيما كانوا يتركون جثثًا خلفهم .

هل يقصدون شجرةَ زيتونٍ أو نشيدًا،

فيما كانوا يصرخون .

**

لكن ما الذي جعل طفلة ترسم قبرًا

بهذا الجمال الباهر

وتقترح الأحمرَ الحارّ

لتلوين بحيرة ناعمة

هل كانت صغيرتنا الحلوة تبكي ؟

فيما كُنّا نيامًا

أو هكذا شُبِّه لنا

فيما شُبِّه لنا،

كنُا أكثر جرأة في النوم .

**

فيما لم يعد للحرب جرحى يعودون

كما في الأساطير

انتظرت البنتُ خطيبَها،

فمرَّ الربيعُ حزيناً

انتظرت البنتُ مرةً أُخرى،

اعتذرَ الربيع

قالوا: انتظرت،

حتى لم تعد هناك حربٌ رحيمةٌ

لكي تنتظر.

وفي الصباح،

عندما لم يجد عاملُ القمامة البنغلادشي

بنتًا تتربّص

عندما انتهى الثائرُ

من إضافة أقفال جديدة للشوارع

عندما فرغ السكانُ

مِنْ هدمِ آخر بيوتهم التي حلموا بها

عندما لم يعد هناك وطن لكي يُحترق ....

: ماذا تفعل بكتابٍ أيّها الأحمق،

يُعنّفك الضابط .

**

أجل كنتُ هناك،

فيما كان الجنودُ فرحين بأسماء جديدة

فيما نصف الأسماء التي حملوها

كانت تبحثُ عن مأوى

أو كما ذُكِر في الأنباء،

كانت تنزف.

فماذا لو أكتشفَ الضابطُ

أنني أحمل بحرًا في حكاية.

فيما كانت أميرةٌ تغرق،

فيما صيادون ينتشلون أقراطا وأساور وقلائد،

فيما شمسٌ تنسحبُ من كراسةِ رسم،

لأن الأسود حين انسكب،

شوّه السماءَ فتبعتها الأرض.

لأن رؤيا الصغيرة،

وهي تُلوَّن كانت غاضبةً

وهذا يحدث أحيانًا لخللٍ في الطبيعة،

لأن الأميرةَ،

تركت شعرَها يطفو فوق الماء

لأن موجةً صاعدة

نثرت الشَّعر عاليًا،

فحمله طائرٌ،

وارتدته غيمة.

لأن شاعرًا كان جنديًا /

لستُ أدري،

ما إذا كان يحملُ قلمًا أو سيفًا

حتى أنني لا أرى الضابط .

فيما كنت هناك

: ماذا تفعل بجثة،

أيُّها الأحمق.

_____

طرابلس

1 نوفمبر 2014

_____ يأخذ المرأة كما هي

باختصار،

أنا الفتى نفسه،

الجندي المهزوم الذي آزرني لكي أضيع،

فأر الثكنات، قارض العزلة.

برهان النوم في عهدة الريح،

الخاسر دائما،

حيث الأحلام شيخوخة تزهر .

**

الجندي نفسه،

السعيد، يهب يده للجرحى،

الساهرُ، يترك الخيارَ لعينيه تعصران الكتب

حتى آخر قطرة ظلّ.

لكي لا تصبح الموسيقى بلا عائلة،

والجسد تاريخا للفراغ.

**

هو نفسه:

الروح الطائشة بألم.

الألم الشجاع، دائما يبتسم .

الصبور على ضراوة الخيال،

كمعنى أن تجد خبزًا في القصيدة.

**

يقود الكلمات من حلمتها

إلى أن يدمى صوتها من فرط النشوة.

ومن باب الإنصاف في توزيع الظلال،

ظلّ دهراً، ينتقل من غرفة إلى أخرى.

**

الفتى نفسه

العائد من الحرب بأكثر من ذاكرة تنزف

عرف الكثير من النساء

بعضهن قصيرات، وحزينات بلا حائط

يسقط في شباكهن عن طيب خاطر

حيث الخضوع مفتاح البهجة.

يأخذ المرأة كما هي

بذاكرتها المجروحة وقلبها الأعمى.

كمَا لو أنّ الحب صلاة استسقاء

أو كصنفٍ شهيّ لمقارعة الخوف،

واللعب بالمستقبل.

_____ يدُ الموناليزا

في الحرب

كنت ألعبُ عند باب البحر

غافلا عن قذائف فرسان الملكة إيزابيلا.

في الحرب لم أحفل بأسماء رفاقي الذين ضيعوني

كنت عربيدًا أعبّ النبيذ في خمارة قوس ماركوس،

صعلوكًا في (سوق الخبزة) ابحث عن سكين لمعالجة بطيخة ناضجة

منحني إياها مزارع من سهل جْفَارَة .

**

لم أحزر حينها

أن "مراد آغا" ورهطه من الأسرى

سيبنون قلعةً حصينة.

وبعد هزيمة فرسان القديس يوحنا

سيمكثون هنا أربعة قرون

حتى تتعفّن ترهاتُهم في سقيفة التاريخ

لهذا كلّما دخلت غرفة "للْاحلومة" لتنظيفها من البق والغبار

أحاذر مزاج الكسوف،

وغدر يوسف باشا

الذي يتجول في ردهات القصر متنكرًا بأردية الحريم .

لكن ماذا لو أتقنت رسم امرأة لها ثغر الموناليزا

عوضًا عن تعلّم الكلاشنكوف، وركوب المدرعات.

ماذا لو أجرينا تعديلا بسيطًا على كتبِ التاريخ العربيّ

وجردناها من كل الفرسان الذين صنعهم خيالٌ مريض،

وأوكلنا لزرياب وحده؛

تعبئة الفراغات التي تركتها سنابكُ الخيل .

**

في يومٍ ما

كنتُ كلما مررت بمحاذاة قلعة باب العزيزية

أتخيل حديقة بدلا من ثكنة.

والآن

بلادي ضاعت، وأنا لم اعد ذلك الفتى

كل ليلة أحاول تدبير ممر آمن للنوم

وأهمسُ لكِ

أعطني يد الموناليزا.

_____

طرابلس . ديسمبر 2015

_____ كلب عجوز

كأي يوم مهمل:

"كلب عجوز ينبح لتقديم نصيحة " *

أشير تحديدًا إلى الجهة المتسخة بالبلغم وطبقات النيكوتين،

النافذة المكسورة في قلبي،

إلى شرفات طرابلس، وهي تختنق بسحب

الدخان المتصاعدة من خزانات النفط

التي دمرتها القذائف.

هكذا: كلب عجوز في غرفة نازحة

بطريقة صبورة يكتب " ثلاث نملات تعبر كتابا" **

حيث لن تكون سيرة الجندي متسامحة أبداً،

طالما أفكّرُ في الكلمات

كمعركة ضارية بين قبائل شرسة،

وأيضًا، يا للمفارقة:

كطوق نجاة لهزيمة السرطان.

لهذا أنا عاشق سيء

وشاعر مخل بتعاليم جنرالات العروض

ومتفائل جدًا،

ليس بإزاحة التخلّف عن كاهل المخيلة

فقط لأن الشاعر، لا الجندي:

من سيغافل الموت المتربّص باللغات

ليعود أخيرًا من " ميدان الشهداء "

بباقة ورد، وحكاية تمجّد صانع الفخّار

وهو يبتكر بيوتا آمنة لرعايا الفراغ.

لأن الماء دونما جرّة متقنة، وحشٌ أعمى،

يهبُ الطينَ جسدَ أنثى بخاصرة رقراقة،

وعنقًا يُسافر، ويدين رحيمتين.

أعني صانع الفخار، المنسي في ضجيج الحرب.

لأن الماء أيضًا؛ صنوّ النار،

يكون حيوانًا ضاريًا وحقودًا

إذا تركنا عرائش العنب تجفّ وحيدة.

هكذا:

كلما أضفنا مشنقة، نخسر شجرة.

كلما أقمنا سجنًا، تختفي حديقة.

كأي يوم مهمل:

" كلب عجوز ينبح لتقديم نصيحة " .

---

*مثل صيني قديم .

** عنوان سيرة شعرية للمؤلف (مخطوطة) .

_____ رامبو نهاية الآخر

من وحل إلى قصيدة

تنمو جريرتك

من شارلفيل

هاربًا، تأخذ الشمس من قفاها،

من أمّك التي فمها لا يكف عن سلق الحشرات

من كومونة باريس،

بثلاث ضربات خاطفة

كل كلمة تنخرط، تتركُ أثرًا كلغم

من أختِ السرّة الآبقة؛

تنتصبُ اللذةُ الضاريةُ كحيوان مرتدّ.

يا ابن النقيب المتديّن

المنتزع بقوة الصوت وبسالة التسكع .

بلغتين تنطقُ الراءَ سليمةً من الغرق

ثم سريعا، كغابة بريئة تجرها أربعةُ وعول،

جنوبا باتجاه العاج.

القصيدة: مومياء سرّك الصاخب

كنزكَ الذي يمكن سحب خارطته بنعومة، من شقوق حلم مهجور

"ربيع أسود " يتسلق جبهتك الطيبة أيها الكلب التائه.

أنت رامبو الأعرج،

الذي " أجْلَسَ الجمالَ على ركبتيه ".

الملعون؛ عقابُ الخيال المقدّس

الذي لم نفهمه بعد .

رامبو، نهاية الآخر

الجزءُ المؤلمُ من عظمة الشعر .

♦

_____ هذه البلاد تروقني

أعرف أن الله خلقنا لنكون معًا

في هذه الغابة التي تتوغل بعيدًا في جسدينا

بوحوشها وأشجارها المفترسة،

في هذه الصحراء العارية كشاة تسلخ،

وثقلها الهائج، كحشد محتجّ،

بأصواتها الراكضة، التي تنهش الموسيقى

بأفواهها، وبراثنها،

وتاريخها الجائع

باندفاعها البهيم، وقد استعار مشتقات

محاربين قدامى .

في هذه البلاد التي تروقني رغم جمالها المحطّم،

وهذا البيت الذي لم يعد آمنًا.

وحتى في هذه القصيدة التي هجرها الغاوون.

كان خيالي يسبقني إليك

أنت المرأة الملولة،

التي تكره النوم وحيدة في الظلام

مع صراصير المنزل،

النضرة كبرتقالة مطعونة باللهفة،

دحرجها شتاءٌ عاصف في قصيدة نثر.

**

أعرفُ أنّ الحلمَ كان دليلنا

وأنْ لا حيلة لنا، لكي نتوه مرة أخرى.

طالما الحلم أجمل خارج النوم .

وأن حبّنا شاسع.

لا تسعه لغة أو خطيئة.

لا يحتاج برهانًا لكي يُسمّى.

لكن لماذا تخشين موتي حيًا

فيما أخاف حياتي ميتا ؟

———

ربيع 2017

من يوم إلى آخر

كمن يربّي أفعى في كمّه

ويترك النار في عهدة الريح

لست أدري لماذا أتخيل كل هذه الترهات دفعة واحدة

مرة أنا الذئب

ومرة أنا السلطان الذي يعفو عند المقدرة

مرة أنا الغابة

ومرة أنا الحطاب الذي يزهو بأشجاره الميتة

مرة أنا الفأس

ومرة أنا الغصن المكسور الذي تخلف

عن ركب القافلة

**

من يوم إلى آخر

صرت فكرة عرجاء تثير الفزع

بين دواب التاريخ،

أنا قصيدة مارقة،

ووتر ضائع من ذاكرة الموسيقى

نفاية عظيمة تجتاحُ خيالَ الشوارع

عودُ ثقابٍ رماهُ مسلحٌ ثمل فأحرق قرية بأسرها

فردةُ حذاء مختنقة بالرمل فقدت أختها في وادي الدوم

ساقٌ مبتورة تنمو وحيدة تحت حطام مهجور

تتحاشى العقارب والكوابيس السيئة

**

من يوم إلى آخر

أمشي غافلا في نومي

بلا وجه أو يدين

فقط محض غصن هش سقط من حزمة لم يُحكم ربطها

ليتخلف مع روث الإبل

ورماد المواقد وبراز العشائر الكريمة.

حيث الشمس تتشاجر مع نفسها بحثا عن ظل.

ما من أحد شعر بغيابي

لا عائلتي المشغولة بتقشير أخطائها

لا ابنة العمّ في هودجها

وهي تغسل عينيها بالنجوم

لا أخوتي الذين تبعوا زوجاتهم؛

فانقطعت أرحامهم

لا شيخ القافلة المتوجس من قطاع الطرق،

لا الحراس وهم يفركون النعاس بالحكايات المعادة

لا ريح القبلي ذات المزاج الطائش

ولا يوسف باشا وهو يحيك الدسائس

لإخضاع القبائل المتمردة؛

حتى النار حين لم يبق شيء تأكله

صارت تلتهم نفسها.

كان العالم واهنًا؛

لا يقوى على المضي قدما.

وكان عليّ أن أقترض خيالا وأتدبر لسانًا و جناحين.

أنا كل هذا الفراغ المتروك لترهات الفقهاء

وعبث المؤرخين.

**

من يوم إلى آخر ؛

تركتني ريحٌ طائشة على سفوح أغنية حزينة

ضمني راعي مكدود إلى أغراض مطبخه. لكن

لعلها أعجوبة تلك التي أنقذتني من مواقد القوم؛

لأن ابنة الراعي وهي تحمل جرة ماء فارغة

أخذتني معها؛

وحيثما لمستني الجميلة كان قلبي يخفق.

ولأنها كانت عاشقة،

ملأت جرتها بالأحلام ونستني عند البئر

كلما هَلّ عطرُ امرأة اهتزت لغتي

وطلعت من نسغي أوراقٌ نضرة.

ومن يوم إلى آخر؛

صرت شجرة تحضن بئرًا

أمنياتي تورق، وظلالي تُشير.

**

من يوم إلى آخر ؛

لا شـيء:

فقط، حقلٌ من الضوء

في كتاب مهجور .

♦

_____ المكوث في غرفة مطفأة

عندما التقي بجزءٍ منّي لا افهمه

لستُ أدري ما إذا كان في وسع حصانٍ عجوز

تفسير هذا الصنف من أمراض الكهولة.

كأن المكوث طويلا داخل غرفة مطفأة

طريقة مجدية لمزاولة الطيران.

هذا ما كان يشغلني طيلة عشر سنوات

تبعثرت بين المستشفيات.

يحدثُ أن أتكئ على ضحكةٍ ساذجة

حين تخذلني الكلمات؛

وحتى لا تترك الشمس أثرًا سيئًا على ذاكرتي؛

كان علي إسدال الستائر

وأن أكون صديق نفسي؛

فقط لكي أصمد.

بغض النظر عن الشقّ المزعج من وجهي؛

فمهما كان ألمي مروعًا؛

لست عاجزًا بعدُ عن الحركة.

كل صباح:

احملُ القمامةَ إلى المكبّ العام

وأعودُ محملا بأكياس الخبز والخضروات

اغسلُ ثيابي وأتخلّص من رائحة النوم.

أعدّ قهوتي بمزاج رصين

وأفكّرُ في الكتابة بوصفها رئة.

فقط أنا، صديقي الوفي؛

الذي مهما حدث لن يهجرني؛

لهذا كنتُ أحتملُ المزيدَ من الضنك؛ طالما أن

الزمن يجري بهذه القسوة التي تجعلني

أهرم داخل الكتب.

صحيح ليس لدي فكرة واضحة حين أبتعد عن بيتي؛

ولا المقدرة الجسورة على دفن الثكنات التي

تلازمني كطالع سيء؛

فقط يظلّ الضحكُ حيلتي الرحيمة؛

حتى لا أختنق مثل هاملت لأجل اكتشاف حقيقة محزنة

أو أُغْرِق الكتبَ مثل هولاكو لصناعة

جسر هش من ملايين الأرواح؛

التي قتلتها الصدفُ الغاشمة.

خارج هذه السير المتعجرفة

يمكنني تكبّد المزيد من الانتظار .

من يدري ؟

طالما هناك لحظات أخرى

ينبغي إيقاظها.

♦

ظلُّ الأعْرج

يحدث في هذه الليلة

كما في ليلة أخرى أن ينقطع التيار الكهربائي.

يحدث لكي أزيح عشرات الثكنات عن كاهلي،

وعن ذاكرتي ألفي عام من دخان الغزاة

و غبار الثورات وعصابات القتلة،

أن أصغي لأغنية حميمة تنبعث من داخلي

غير مكترث لهزيمة الأرق بأقراص النوم .

ربما لأنني أفكّر بطريقة جامحة في كتابة قصيدة،

على بصيص شاشة هاتفي المحمول.

هيا يا عزيزتي،

أنت كلبة مطيعة .

لكن قد يحدث في الأثناء أن افقد نظارتي،

ورغم ذلك لن أصخب مثل ذئب فوق تبّة مهجورة،

لأن الظلام مهما تعاظم

لن يحول بيني وبين المشي حدّ التعب.

فيما يقتحم اللصوص بنوكا وشركات،

أسلك طريقا بعيدا عن روما.

أرسم خططًا لغزو المخيلة .

فيما يسرقون الثورات ويسطون على مخازن الألفة.

أجتاح اللغة بحثًا عن شجرةٍ أصيلة،

أو طائرٍ فوق حطام .

هذا كل شيء :

فقط محض ترهات لظلّ أعرج،

فلا حاجة للقلق .

طالما يمكنني في هذه الليلة الحالكة

كما في ليلة أخرى تقبيل حبيبتي،

وكتابة قصيدة وأنا مغمض العينين.

ولا مبرر للغضب

من أجل نظارة ضائعة، وعلبة دواء تائهة،

وحلقة مفاتيح ربما كانت قبل قليل

على المنضدة أو في جيب سترتي.

ربما لأنني تعودت فقدان العديد من الأسماء

في معارك غبية.

فأحيانا ثمة كتاب يختفي فجأة من أرفف المكتبة،

وولاعة سجائر تغادر بطريقة غامضة سطح الطاولة،

ويتلاشى رقم هاتف من قائمة الأسماء

وتنسحب فردة جورب من محراب حذائها

في صباح مبكّر

وتختفي ساعة اليد دونما سابق إنذار،

فيما لا أذكر ما إذا وضعتها على الكومدينو،

أم فوق رخامة الحمام .

يحدث الأمر ذاته مع الأمشاط وقلامات الأظافر

وفرش الأسنان .

وأيضا مع خاتمي هو الآخر،الذي حين افقده

يجعلني أعاود نبش الأدراج ذاتها .

كل هذه التفاهات الاعتيادية،

لا تعني شيئا لرجل متشرد في الألم،

ففي نهاية المطاف لا شيء يدعو للحزن

طالما ستظهر الأشياء الضائعة بعد حين،

وبمحض الصدفة،

لأكتشف أن الوقت الذي أهدرته في البحث

عن مقتنيات صغيرة

يبدو أكثر سخرية وأنا أستسلم للضحك،

وأن أي ارتباك هنا، سيبدو ساذجا وأحمقا كطفل يعاني من رهاب المرحاض .

هزيمة رخيصة أمام الغائط .

——

فجر الاثنين 21 يناير 2013

_____ مقبرة الزهور

الشيء أن ترى نفسك أكثر من حكاية

في رفّ من قناني عطر فارغة

الشيء أن تكبر دون أن تغادر عاداتك السيئة

حيث ما من كلمات غير ذاكرة الروائح

لهذا تحول احد رفوف مكتبتي إلى مقبرة صغيرة

أعني الفوارغ من قناني العطر؛

التي أصفّها كقبور أنيقة لملايين الأزهار الميتة.

وفاء لرائحة صلاة ناعمة كقبلة مسروقة في مصعد كهربائي،

للقاء متأخر بين عاشقين في مقهى الصفوة

صلاة غائب،

إكراما لقبر صغير من بلّور ماليزيا،

يحاذي ثلاثة قبور نظيفة،

لفرسان مدججين بدروع ذهبية.

ثم قبر كبير لروما،

جلبته أثناء عبوري قادما من كاتنزارو

في رحلة قطار شاقة

يليه قبر متصدّع من أعشاب إفريقيا

جوفه قاتم وغلافه من طين

جاء محمولا داخل حقيبة ظهر عسكرية

عبر الصحراء الكبرى من فايا لارجو إلى البيضاء .

وأخيرا ثمة قناني أخرى بلا علامات

في يوم ما سقطت أحداها على بلاط الغرفة فانكسر غطاؤها.

**

لكم تبدو الفكرة ضالة :

قبورٌ صغيرة؛

لحشدٍ من الحدائق المنقرضة.

—

طرابلس خريف 2013

_____ تجارب

كيف ستعرف الجميلة أنني أحبّها،

أنا الجنديُّ الحزين الواقف متنكبًا بندقيتي

أمام مخزن للذخيرة.

أرتجف من البرد والوحشة.

لا أحد هنا يشير إليّ

.....

في يوليو 1973 تسللت إلى الإسكندرية؛

لأول مرة أمارسُ الحبّ خارج نومي،

ولأول مرة خارج السينما ارتاد مراقص وبارات.

عدت مصابا بالدهشة والسيلان.

بعد عام كان يمكن أن أكون في ستوكهولم

لو لم يشتبه أمنُ المطار في جواز سفري المزوّر

توهمتُ أن هناك فتاة جميلة وشقراء

لطالما حلمتْ بي هي الأخرى

لنطوف معًا الشوارع والحدائق والبارات

وحين نتعب؛

سنؤجر غرفة صغيرة في حي آمن،

لا وجود فيه لمعسكرات وسجون

وبوابات، وقبعات حمراء.

وستعاملني بالطريقة التي تحترم خجلي.

في السنة التالية:

لم يفصلني سوى يوم واحد عن شواطئ مارسيليا،

حين قبضت علي تحريات الشرطة العسكرية

في مصيف صبراتة البحري.

على هذا النحو سأودع السجن لأكتب قصيدة ضائعة.

لكن كيف ستعرف الجميلة

أن الوردة التي قطفت لأجلها ذبلت؟

أعني تلك التي خبأتها في جيب معطفي العسكري

حتى لا يراها ضابط الخفر،

وما تزال بعد أعوام ثقال رائحةُ أنفاسِها

تنفث من أصابعي.

**

هناك في معسكر الكتيبة 23 مشاة،

في مخزن المهملات، حيث كنت مع الفئران والصراصير والعناكب.

كنت صديقًا وفيًا للكتب والأحلام .

أحيانًا أنخرط في حبها السري كصلاةِ استسقاء،

وأحيانًا أعتقها من الروايات.

حدث ذلك:

قبل أن أراها أو أسمع ضحكتها.

وحين احتقنت بتلات الوردة؛

خبأتها بين دفتي رواية "مائة عام من العزلة"

حيث كانت "ريمدوس الجميلة"

تتحول إلى طائر أو غيمة .

**

لم أخبر أحدًا بما ضخته الثكنات في أوردتي

من تجارب ضالة،

ربما لأن الكلمات كانت تتضاءل خارج خيالي

عندما أخذوني إلى حرب تشاد

في جوف معتم لعربة "بي تي آر" مدرعة.

كتبتُ أكداسًا من الرسائل

عبر السوانج التي تتيحها القذائف

لكي تظل مخبأة مثل كنز .

**

أجل، كيف ستعرف الجميلة

وأنا محض جندي حزين

فيما المستقبل الهرم يمضي فخورا بترهاته.

_____ كل امرأة أعطيها اسما

حتى الآن، شطرتُ العديدَ من المعاجم

بحثًا عن شيء أتوهم بأنني ضيعته أثناء سقوطي

من سلّم الطفولة،

كحادث عابر في أول الأمر .

**

في يوم ما قلت:

لا وجود للشعر بعيدًا عن منازل النساء.

في يوم ما أيضا، كنت عربيدًا،

حين كتبتُ قصيدة "رجل بأسره يمشي وحيدا "

**

لكن عندما غرقتُ في النثر،

تصالحت مع ألمي ولم أصرخ

كما يتردد في مقاهي النميمة.

**

حتى هذه الساعة قد تجاوزت بصمت

العديد من الثكنات تاركًا أطلال الوجع وخرائبها الدامية

تستغيث بظلي،

وأبيّ الذي مات قبل أربعة وأربعين شتاءً.

متجاهلًا كل معاركي الصاخبة مع الجراحين والممرضات وسائقي الإسعاف .

**

غير نادم بالطبع حين سلّموني (كلاشنكوف)

وحملوني إلى جبهات الجنوب.

ولا أخشى من تفسّخ تاريخي في صحراء صبورة،

ربيت مكرها على مهل .

**

صحيح: قد تعبت،

صحيح: فقدتُ جزاءً كبيرًا من مشيتي، وتعذّر عليّ استعادة خطواتي الرشيقة،

وضحكتي الأولى، عندما كنت اقفز بخفة

من امرأة إلى أخرى:

صحيح: كل امرأة تتقدم أعطيها أسمًا،

حتى لم يعد لدي ما يكفي من الكلمات.

لهذا ظلت قصائدي الأخيرة دونما عناوين.

اتركها تتخبط داخل صناديق مهجورة

حتى تتساقط حراشفها وتفقد ذاكرتها النشيطة.

**

ولهذه الأسباب وغيرها

سأتشبّث بحبكِ.

♦

_____ هذه صورتي

هذه صورتي،
لوحة صحراء تخلو من سحرِ المخيّلة.
على خلفية موسيقى سائبة
في مقهى بحري مهجور.
ساعة حائط عرجاء ووحيدة رسمتها طفلةٌ ناعسة.
أسير حربٍ بيدين عاطلتين عن هبة الحب؛
هي حرب ضالةٌ
نشبت بين حطّابٍ أعْمى وغابةٍ لئيمة،
بين جنديّ مغفَّلٍ وحبيبةٍ تنتظر،
بين حبيبة تنتظر ونافذة حالمة،
بين نافذة حالمة، وقذيفة مجهولة،
بين جيشين منتصرين،
كلاهما ينسحب ظافرًا بتوابيت مرحة
وأبطال بأطراف صناعية، ومدن مهدّمة،
بين قبائل طيبة الذكر، تجيدُ النهبَ والقتال،
وقبائل أخرى، طيبة الذكر، تجيدُ النهب والقتال،
بين ثوار شرفاء يحبون ليبيا،
وثوار شرفاء، هم أيضا يحبون ليبيا.

هكذا هو الآن وجهي:
مثل شيءٍ لا يحدث إلا مُكرها كأبغض الحلال عند الله
والتبول أثناء النوم
والمشي ليلا في حديقة ملغّمة؛
كالعزوف عن الحلم،
وانتظار الأعياد، وقدوم الأحبّة،
كمقاطعة الأصدقاء،والشوارع،
والإضراب عن الكلام ..
وربما ذاويًا لضرورة السفر داخل مرحاض مغلق بإحكام،
يشبه قصيدةٌ ميتةٌ،
لشاعرٍ سيءِ الحظّ.
**
هذا الجدار الذي يتداعى: ظِلُّ وجهي؛
وأنني إلى هذا الحدّ صرتُ متعذرًا
عن كرامة العطر،
وغواية رباعيات الخيام،
ومولانا جلال الدين الرومي،
بحيث لا وجود لباقة ورد،
كهدية مضادة لكآبة الطقس،
أو ترتيب جنازة باذخة
تليق بمهابة شهيد العزلة.

**

قبل ثلاثين سنة أو ثلاث وثلاثين
عندما فاضت المعاجمُ الرحيمةُ بمديحها
وغمرت ترانيمُها المعتقلات النضرةَ
والصحفَ والمقاهي،
كنتُ فتيًا
وربما جنديًا شجاعًا،
أو عاشقًا طائشًا بعض الشيء.
أنا لا أحد غيري،
صعلوكُ بهاءٍ، وانهارٍ سخيّة.
جوابُ ليل، وقفاءُ طرائد.
عندي ما يكفي من منجنيقات الخيال
والأسماء والنجوم،
لكي اعبر واثقًا دونما ريب
من قصيدة جميلة
إلى امرأة أجمل.
إذن: هل ثمة شبه بين وجهي
ولعبة طفل وسط الحطام،
أو التنزّه عند ضفاف بحيرة السرايا الحمراء
على إيقاعات القنابل،
ونشوة رقص مباغت في شرفة منزل مهدد

بالقصف،أثر هجوم معزّز بمشتقات
كروم باركها الطعاة.
**
هل ثمة قرابة ما
بين وجهي ووطن لم نعد نفهمه ويفهمنا،
كما يليق بعاشقين بريئين من شبهات الرجم،
بين وجهي،
وسماء ضائعة في متاهة الكتب.
**
هل هذا وجهي؟
فزّاعة عصافير،
مضخة أسرار لصندوق أسود في بث مرئي مباشر،
غرفة عمليات بأربعة أرجل مشبوهة،
محاكم تفتيش من ذوات براثن الديجتال،
نازحون يتضورون، بأصوات عجاف،
مثقفون رحّل،
يتبادلون جثث الضحايا عبر شاشات الهواتف الذكية،
محافل ذبح وشيوخ يرطنون بلهجات أممية
سياسيون من فصيلة الكلاشنكوف
يخططون لمستقبل ناعم،
عسكريون متجهمون بأربطة عنق

يُنَظِّرون لصناعةِ دولةِ الحداثة
أمراء حرب، هائجون يؤثثون مخازن جحيم
وسلخانات وحرائق.
فيما حبيبتي تنصحني بمحلول القرفة،
واللجوء إلى يوتيوب الكاميرا الخفيّة،
عوضا عن متابعة أخبار المعارك.
تنصحني بمزاولة الضحك،
والنوم المبكر؛
لأن وجهي،
بعد ربيع الثورات:
نفاية وطن، ومكبّ فوضى.
أنا ضائع .

_____

طرابلس 14 اكتوبر 2014

_____ لا أحد يصدق أنني طائر

عندما كانت المعاجمُ خصبة بالجنرالات
كنّا جنودا في معسكرات الريح
نتعلّمُ برعونةٍ كيف نقتلع الحدائق،
لنزرع جثثا طازجة /
نتعلّمُ لؤمَ الجوع وفضيلة الموت الأصمّ .
في المعسكرات النائية
ذات الأسوار الصفراء، والأبواب الكبيرة الجافة /
أعلمُ،
لن يبقى إلاّ الغبار .
**
لهذا
في مخزن المهملات، غرفة نومي الآمنة،
استضفتُ خِفْية مولانا جلال الدين،
وغنّيت دونما ضجة /
مبتكرًا العديدَ من الحِيّل لاصطياد الخيال،
لتظل الكلماتُ نضرة،
وصديقة على الدوام ....
وحتى لا يقف الحزنُ عائقا أمام ضراوة العطر

استجبتُ لحكمة الروائح ....
ولكي لا أنقرض،
كنت أقرأ صفحة من مولانا قبل الجمع الصباحي،
لأنّ السعادةَ سَفَر .
**
في " فايا لارجو "، *
تعرفتُ على المزيد من الجثث والذباب الأزرق
غير ملتفت للحيوانات الجائعة.
لكن هذه الحياة الكلبة لا تصغي.
لهذا دعوني أخبركم،
عن أكوام القتلى من الجنود الذين تُركُوا في العراء
على الرمال الحارة
في صحراء "فايا لارجو" ....
عندما ساقونا إلى هناك،
في ذلك الخريف الكالح من سنة 1980.
**
سأحكي لكم عن عربدة العجاج الغاضب
وفطوم، تلك السوداء الناهدة،
وعطرها الجامح
عن عيسى راعي الماعز،
الذي سرق طحيننا وزيتنا، ليختفي فجأة،

عن رفاقي في دورية الاستطلاع
الذين احترقوا داخل عربة ال B-T-R.
عن أشياء كثيرة لم أعد أفهمها
لأنني الآن،
كما أظن،
أنا هنا.
**
هنا،
حيث لا احد يا حبيبتي
يصدق أنني طائر.
فما الضير إن تركت للكلمة حرية الصمت،
لتحطّ على شجرة،
أو حبل غسيل،
أو غيمة.
يكفي أن تومئ وهي تغادر العشّ،
فيما هؤلاء العابسون
الذين يكرهون الموسيقى
يروننني محض ظلّ أعوج سقط من حكاية مُعاقة.
ليس ذلك خطأي؛
إن لم أملك من متاع الدنيا غير عكّازين
وسماء قاحلة تحملني على نقالات

مهدّما من الداخل مثل أحلام مهجورة.

**

أجل، ليس خطأي يا حبيبتي

إن عدت من الحرب أغنية مبتورة الأطراف

سقطت من جراب متسول أعمى

أو تركها سكير، تنسكب على أرضية حانة قذرة .

---

*فايا لارجو : مدينة في الشمال التشادي .

_____ حبّهان

تمشـي حافية قهوتُها الحارةُ

تمشـي واثقة من نبالها

قصيدةُ سـين

التي تصطادُ وحوشاً لا كلمات.

بضربات قوية

تهزّ عرشَ اللغات،

حيث يلزمنا أن نعترف:

بأن سـين

اكتشـفتْ ضرورةَ الشعر، لمعالجة سـرطان الرئة

**

هذه الليلة:

أنا سـعيد جدًا

بارتباك قافيتي

وقد تخلخل يقينُ الموسيقى

بغضّ النظر عن هذا المتن السكران

وقد انسحب الأطباءُ أخيرًا

وانزوى هرجُ الممرضات خارج أذني .

السريرُ إقليمي،

والوسادة نافذتي التي أتشاجر معها.

**

في هذا العطل من جسد العالم

ربما تكسر زجاجُ معرفتي

وأن سماء غرفتي ملبدة بالدموع

لكن سكاني الأوفياء

يخيمون قريبًا من أحلامهم

من قهوتكِ الحارة يا (موني)

وقد تماهت لُغتي

بثيابكِ المرحةِ وهي تتأهب للرقص

مزهوة بحدائقها

بأحذيتكِ الفتيةِ لمّا تتأنقُ في رسم مشاويرها.

وبقصيدتكِ

وهي تمشي واثقة من نبالها

تصطادُ وحوشًا،

لا كلمات.

**

أن نصغي: تختفي المسافات والضمائر

نضع يدًا على الباب،

وباليد الأخرى أكثر من ثلاثة مفاتيح، ومظلّة.

ها هي برلين تمطر .

_____

برلين. 16 يوليو 2012

صدر للكاتب: _____

1- قيامة الرمل - شعر - طرابلس /ليبيا - 1992 - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
2- كتاب المقامات - شعر - ليماسول / قبرص - 1993 - دار الملتقى
3- رجل بأسره يمشي وحيدا - شعر - بيروت / لبنان - 1993 - دار غربة
4- فعل القراءة والتأويل - نقد أدبي - طرابلس/ ليبيا - 1996 - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
5- منازل الريح والشوارد والأوتاد - شعر - ليبيا - 1996 - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
6- السور - تأليف مشترك بمعية الكاتب مجاهد البوسيفي - مسرحية - ليبيا - 1996 - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
7- ديك الجن الطرابلسي - شعر - طرابلس /ليبيا - 2000 - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
8- رحلة الشنفرى - شعر - ليبيا - 2000 - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
9- جنازة باذخة - شعر - طرابلس ليبيا - 2003 - منشورات مجلة المؤتمر
10- مشية الآسر - شعر - بنغازي /ليبيا - 2004 - مجلس تنمية الإبداع
11- عتبة لنثر العالم - في النقد الأدبي - طرابلس ليبيا - 2006 - سلسلة مجلة فضاءات
12- مفاتيح الكنز - سرد - طرابلس ليبيا - 2007/2006 - اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام

13- السلطانة - شعر - طرابلس ليبيا - 2007/2006 - اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام

14- نثر الغائب - سيرة شعرية - طرابلس ليبيا- 2007/2006 - اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام

15- برج العقرب - مسرحية - طرابلس ليبيا - 2007/2006 - اللجنة لشعبية العامة للثقافة والإعلام

16- نثر المستيقظ - نصوص - ليبيا - 2008 - مجلس الثقافة العام

17- فسيفسائي - شعر - ليبيا - 2008 -اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام

18- فن العزلة ، نهاية العالم - مقالات في الأدب والحياة -طرابلس ليبيا - 2008 -اللجنة الشعبية العامة لثقافة والإعلام

19- حياة الظل. نصوص. 2013 . وزارة الثقافة والمجتمع المدني .

20- مدونة النثر الليبي . شعر . 2013 .وزارة الثقافة والمجتمع المدني .

21- ثكنات . شعر . نشر الكتروني . 2015 . موقع بلد الطيوب .

له تحت الطبع :

- تقطير العزلة؛ محاولة لتدوير خانة الصفر. (نصوص ومقالات)

_____ مخطوطات :

- رأس الطين. رواية

- الكامبو. رواية .
- تجارب ضالة. قراءات ومقاربات نقدية.
- جنديّ المشاة الخجول. سيرة